عنـــف السلطة في الرواية العراقية في المنفى

Abstract

In exile, Iraqi novel has been preoccupied with the presentation of various images of authoritative violence practiced by Iraqi authority, represented by al-Ba'ath Regime. Thus, Iraqi novel has been able to reveal and peel off the extreme ugliness practiced by the authority against its opponents whether political or public individuals. Quiet amazingly, Iraqi novel has always attempted to deal with issues related to the absence of freedom and violation of human rights through multiple images varied between arrest for mere suspicion to whosoever person with contrary vision in addition to the use of physical and psychological torture and the different non human means and tools used in investigations. All these images are presented in the form of extensive narration that picked up violence to be its major subject so as to reveal the negative effects and consequences of such practices upon the individual and the society as well.

ملخص

انشغلت الرواية العراقية في المنفى بتجسيد أساليب العنف السلطوي المتنوعة الذي مارسته السلطات العراقية ولاسيما السلطة البعثية ، وعرّت بشاعة اسلوبها في التعامل مع الخصوم السياسيين والناس عامة، وهي تعالج مسألة غياب الحريات وانتهاك حقوق الإنسان عبر صور متنوعة تباينت بين الاعتقال لمجرد الاشتباه لكل من يحمل رؤية مخالفة ، واستخدام وسائل التعذيب الجسدي والنفسي اثناء التحقيق ، فضلا عن تصوير آلات التعذيب البشعة ، من خلال مدونة سردية كبيرة اتخذت العنف موضوعا لها تكشفه وتعرض نتائجه السلبية في بنية الفرد والمجتمع .

المقدمة

العنف يعني ((استخدام القوة أو التهديد بها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية)) [١] . وفي أغلب الاحيان تلجأ السلطة السياسية في الدولة الى اتخاذ قرارات سياسية معينة أو اتخاذ أساليب عنف غير محدودة للقضاء على معارضيها أو من أجل فرض مبادئها السياسية على المجتمع أو فئات معينة منه .

ويشكل العنف ملمحاً بارزاً من ملامح الانظمة الشمولية التي تمارسه مع أي شخص يعارضها أو يحاول التمرد عليها، وقد يمتد بطشها ليشمل أفراد المجتمع عامة فتتحكم في اسلوب حياتهم وعملهم وعلاقاتهم الاجتماعية. وإذا كان من العنف ما هو مباشر معلن كالعنف المادي المباشر ... فهناك نوع آخر من العنف معنوي خفي وغير معلن تستخدمه السلطة ولا تجاهر به يتمثل بالنيل من قيمة الإنسان والحط من شأنه أو مصادرة حريته السياسية والمدنية .

كما يوجد نوع ثالث يمكن أن نطلق عليه بالعنف الرمزي الذي يقوم على فرض دلالات رمزية معينة في حالات خاصة من خلال اعتمادها وسائل الاعلام والمؤسسات التربوية والتعليمية في ترسيخ أيديولوجيتها وقمع الفكر المخالف لها وبذلك تفرض نفسها على الشعب وهو عنف تستخدمه السلطة وتتبرأ منه في الوقت نفسه [٢].

وقد انشغلت الرواية العربية إلى حد كبير بتجسيد صور العنف السلطوي المتنوعة والمتمثلة بغياب الحريات وانتهاك حقوق الإنسان وغيرها [٣].

وقد طرحت الرواية العراقية في المنفى مسألة العنف الذي مارسته السلطات العراقية ولاسيما السلطة البعثية وعرّت بشاعة أسلوبها في التعامل مع الخصوم السياسيين والناس عامة من خلال

مدونة كبيرة اتخذت العنف موضوعا لها تكشفه وتعرض نتائجه السلبية . وقد ركز البحث على المتن السردي لأربع روايات عراقية عالجت ظاهرة العنف الجسدي والايديولوجي ؛ لكونها تمثل وثيقة تاريخية مهمة جسدت حقبة مهمة من تاريخ العراق الحديث وهي كل من(الغلامة) ل (عالية ممدوح) و(الإسلاف) ل (فاضل العزاوي) و (عندما تستيقظ الرائحة) ل (دنى غالي) و (ملائكة الجنوب) ل(نجم والي) من خلال محورين تناول المحور الاول عنف السلطة ونفي الشرط الإنساني وبحث المحور الثاني في عنف السلطة وتشظي الهوية.

١- عنف السلطة ونفي الشرط الإنساني.

عالجت الرواية العراقية في المنفى موضوعة الاستبداد والقمع السلطوي ، وتفشي ظاهرة الوحشية ومظاهر القمع والاضطهاد والتفنن في ممارسة القتل والتعذيب التي مارستها السلطة ضد مواطنيها، وقد جسدت رواية (الغلامة) ل(عالية ممدوح) [*] هذا المعنى بوضوح إذ سعت الرواية إلى تجسد مرحلة عصيبة ودموية من تاريخ العراق المعاصر تبدأ بوصول العسكر إلى السلطة في تموز ١٩٥٨ ، لتبدأ سلسلة من المذابح ، بدءاً بالمجزرة التي ارتكبت بحق العائلة المالكة ،[٤] فالصراع الدموي بين التيار الشيوعي والتيار القومي بعد أن تمكن الأخير من الاستيلاء على السلطة بعد انقلاب ٨ / شباط / ١٩٦٣ ، ثم انقلاب تشرين . وفي خضم هذه الأحداث الطاحنة سحق آلاف العراقيين وضاعت حياتهم في مصائر سوداء تنوعت بين تغييب ،[٥] وموت تحت التعذيب ،[٦] أو الهرب من الوطن بعد أن سُدَّت كل آفاقه ،[٧] أو العيش بذات سحقها القمع كما عاشت (صبيحة) الشخصية الرئيسة حتى نهايتها الغامضة بعد أن وُجِدت جثتها طافية في دجلة وعليها آثار حروق وتعذيب .[٨]

(صبيحة) – بطلة رواية الغلامة – شابة عراقية التي حطمها قمع السلطة واضطهادها ، وحولها من امرأة مثقفة وحالمة بمستقبل واعد وحياة أفضل إلى كائن محبط يعاني وطأة ماضٍ مؤلم وقاس وحاضر يائس.

تحولت من طالبة متفوقة في كلية الآداب قسم اللغة الانكليزية ومحبة لجارها الثوري الشيوعي (بدر)[٩] إلى مسخ متزوجة من رجل لا تحبه / ابن خالتها (شاكر)[١٠] ، أُم لطفلة لا أب لها،[١١] مسخ حياتها في الظلام والخفاء ، بانية عالماً سرياً من الانحلال والشذوذ والسعي اللاهث وراء إشباع الرغبات للانتقام من جسدها المدنس وكرامتها المهدورة ، بعد أن تعرضت إلى أنواع التعذيب والامتهان ، فضلاً عن الاغتصاب الجماعي أو ما أطلقت عليه بتهكم ((دوريات

الازدحام الجنسي))[١٢] من قبل جلادي السلطة في ٩ / شباط / ١٩٦٣ ، ولم يكن ذلك بسبب من انتمائِها الإيديولوجي ، إذا كانوا على يقين تام أنّها غير منتمية إلى أي تنظيم سياسي[١٣] ، بل لعلاقتها ببدر أحد أعضاء الحزب الشيوعي على الرغم من أنَّهم يعلمون أيضاً إنَّ تلك العلاقة قد انقطعت قبل أشهر من اعتقالها [١٤] .

وقد استند الفعل الروائي كثيرا على تجربة الاغتصاب التي تعرضت لها (صبيحة) . في إحدى غرف الملعب الأُولمبي في الاعظمية بعد تحوله إلى معتقل [١٥] ، في إبراز ثيمة العنف الذي جسدت أبعاده الرواية بوضوح ، إذ إنه يمثل الحدث الذي حمل التحولات التي جسدتها الشخصية على مدار صفحاتها . ولعل العنوان الذي نجده في مدخل الرواية (المخلفات) [١٦] يحمل أبعاد تلك التحولات وأثرها . فهو – بمعنى آخر – أسهم في إعادة تشكيل رؤيتها لذاتها وللعالم

إنَّ حجم الأذى الذي تعرضت له (صبيحة) يكشف وحشية تلك السلطة ولا إنسانيتها، ولعل ما روته (صبيحة) عن تفاصيل فحص الطبيبة لها في المعتقل بعد تردي حالتها الصحية ، بسبب النزف الحاد الذي أصابها بعد تلك الحادثة يعكس بدرجة عالية من الوضوح معاناة الشخصية ويمهد للتحولات التي ستعيشها فيما بعد ((تدفعني للوقوف دون مسند ... كانت تمد ذراعها فتسمع صوت الخلايا وهي تتكسر بين كفيها ... كتل الدم كانت تراها بأم العين فتزيحها بحركة شديدة الرقة وتواصل الصمت ... طلبت مني خلع ملابسي بالكامل ... لكني لم اقو على رفع يدي فتهاويت حالاً ... تنزع عني منامتي ...فبدأت أنا بالفرجة بدلاً عنها الحروق والعض وأشياء كثيرة... لا أغمض عيني صعوداً وهبوطاً على الألوان التي تطايرت على بدني ، انتقلت الألوان من الأسود إلى الرمادي المزرق وتوقفت على اللون البنفسجي المائل للاخضرار...))[١٧] ، فصور العنف الجسدي تبدو ممعنة في وضوحها على جسد الشخصية، التي لم تفقد قواها فحسب بل كانت سبباً لفقد كينونتها وذاتها *، فما كان من (صبيحة) إلّا أنّ أغرقت نفسها في معاقرة الخمر والحبوب المنِّومة ، في محاولة يائسة منها للهرب من جحيم الذاكرة وسوداوية الواقع. [١٨]

إن العالم الشائه الذي جسدته (صبيحة) بكل أمراضها النفسية كان نتيجة لواقعة الاعتقال التي غيَّرت حياتها ، وأصابتها بانكسارات روحية دفعتها إلى المزيد من التدمير الداخلي ، فجاء انغماسها بذاك الشذوذ والانحلال في حقيقته فعلاً انتقامياً عن الخراب الروحي الذي أصابها ، ومحاولة يائسة منها للانتقام من نفسها ومن السلطة التي دمرتها بإقامتها علاقات جسدية مع رجال في قيادة تلك السلطة ، منهم البعثي (مسلم) الذي رمزت إليه بـ(تقي)[١٩] ، أو برجال

ينتمون إلى الايديولوجيا التي اعتنقها حبيبها (بدر) وانتهكت وعذبت بسبب منها[٢٠]، ومن المنظومة الاجتماعية التي فرضت عليها الصمت والتستر على كل الجرائم التي ارتكبت بحقها ، فتحولت كل اكراهات الواقع تلك إلى رغبة مدمرة لتحطيم الذات والآخر .

ولم يقف ظلم السلطة واضطهادها عند حدود التعذيب والاغتصاب وسحق الذات الإنسانية ، إنما يتمادى قهرها وإذلالها إلى مرحلة تهديد الضحية وابتزازها لتكون عيناً للسلطة ، إذ سعت إلى تجنيد ضحاياها وتحويلهم إلى مخبرين ، وهذا ما حدث لـ (صبيحة) فبعد أن نجح (رامي حيدر) – وهو أحد أعضاء السلطة البعثية[٢١] كانت تربطها به علاقة اجتماعية – من إطلاق صراحها ، حاول تجنيدها أثناء توصيلها من الملعب الاولمبي إلى بيت أهلها متعمداً أسلوب التهديد المبطن ((حاولي مساعدتنا ، حاولي ، ليس الآن ، فيما بعد وإلّا سيحترق الأخضر واليابس))[٢٢] . وهو ما دفعها إلى استذكار موقف سابق دفعها فيه (بدر) إلى الاختلاط بالناس

((– عليك بالجماهير – ادخلي معهم وأطلقي الأهازيج بصوتكِ الجميل، هؤلاء الناس يفرزون الغث من السمين))[٢٣] . لقد شكل استذكارها هذا بذور وعيها بحقيقة تلك الإيديولوجيات التي تسعى إلى تسخـــيـــر الإنسان لخدمتها غير عابئة بألمه ، وهذا ما اتضح لها فيما بعد وصرحت به في رسالة لأحد عشاقها مسلم (تقي) ، ((بدر من جانب كان يريد أن ينسف جميع ما يدور في رأسي . وأنت وغيرك منهم كثير بيدكم المسطرة والقلم تريدون قياس حركة البط وهو يتنزه في الساقية ساعة الغبش . والموضوع واحد لا غير ، أنَّ الإيديولوجيا وحدها هي التي تهم ، وأن هناك أنظمة رائعة تعطي الجواب لكل شيء وما علينا سوى أن نختار معسكرنا وأن ننضم إلى الطيبين الأخيار ونحارب الأشرار ... يا سيد مسلم إلّا ترى أنَّ الدواليب تغصُ بالجثث، وجميع الإيديولوجيات تحمل الأكاذيب وهي زائفة وبعضها يساوي بعضها الآخر))[٢٤].

إن إشكالية الصراع السياسي الدموي ، وجوهر الخراب العراقي المعاصر يكمن في تبني معظم الإيديولوجيات السياسية فيه فلسفة إلغاء الآخر ، هذا الإلغاء الذي يصل إلى حدود الاضطهاد والقمع الذي تمارسه السلطة الحاكمة ضد أعضائها حتى ، إذ شعرت بأن وجود بعضهم بات يشكل تهديداً لمشروعها السياسي ، وقد طرحت الرواية ذلك من خلال شخصية (مسلم)/ (التقي) الذي يعد أحد قياديي ومفكري الثورة ، وقد تنقل في مناصب إدارية مهمة فيها ، فوصل إلى درجة سفير للبلاد في إحدى الدول الاشتراكية[٢٥] ، إلّا إنه يصبح مطارداً من قبل السلطة بعد إقالته من منصبه إثر كتابات شعرية وآراء بثها في دراسات نقدية كان ينشرها من حين لآخر

[٢٦] ، فهمت من خلالها السلطة أنها معارضة للنظام ، على الرغم من أنَّها كانت في صدد التنظير للشعر ((من أجل إن ابدأ بدايتي الحقيقية فأنا أنكر النظام فأقع في التهلكة))[٢٧] .

قدم (فاضل العزاوي) رواية (الأسلاف) [**] إدانة فاضحة للأنظمة العسكرية العراقية التي تعاقبت على حكم العراق وأغرقته في دوامة لا متناهية من العنف والدمار من خلال اعتماده أسلوب السخرية السوداء مازجاً بين العوالم الواقعية والمتخيلة لنسج روايته وتقديم شخصياته .

تبدأ أحداث الرواية بوصول مخطوط رواية إلى الراوي عبر البريد يتبين أنَّه من صديق قديم له يدعى (عادل الأمير) شاعر مغمور يضطره اضطهاد السلطة إلى اتخاذ المنفى / برلين وطناً بديلاً له [٢٨] وهناك عاش خمسة وعشرين عاماً في شقة في الطابق الخامس معزولاً عما حوله [٢٩] وقد ظل لسنوات طويلة يحلم بكتابة رواية عن بلاده وأخيرا ينجح في كتابتها بمساعدة الشيطان كما يقول .[٣٠]

تفضح الرواية منظومة السلطة الديكتاتورية القائمة على القمع والتنكيل بالإنسان ، من خلال إدانة الممارسات العدوانية التي تقوم بها الأجهزة الأمنية المرتبطة بها بحق الشعب بعد أن فقد أفرادها كل وازع إنساني أو أخلاقي أو مهني ، فأصبحت آلة لهرس الإنسان واستباحة كرامته في ظل سلطة منحرفة ، فقد اعترف شاب أُلقِيَ القبض عليه بدعوى انضمامه إلى إحدى الحركات السرية في البلاد ((وهو معلق إلى المروحة في زنزانة التعذيب بإخفائه طائرة فوق سطح بيتهم في حي تل محمد –غطتها أمه بالبطانيات خشية أن تقع عيون الجيران عليها))[٣١] وعندما سأله (عادل) عن سبب ذلك إجابة بأنه قال ذلك لينقذ نفسه ولو لبرهة من الوقت [٣٢] بل وصل اضطهاد السلطة أنها كانت تقيم في كل محله أو زقاق ((حفلات من نمط لم يعرفه الناس من قبل كأن يظهر فجأة عشرون أو ثلاثون شخصاً يجرون وراءهم أربعة أو خمسة شباب مربوطين بالحبال ، حاملين معهم لوحا من الخشب السميك يسندونه إلى جدار ما ويوقفون ضحاياهم أمامه في انتظار موتهم ، كان هؤلاء الشباب هم الهاربين من الحرب ... وفي أثناء ذلك كان ثمة من يطرق أبواب بيوت المحلة ، طالبا من النساء والرجال والأطفال الخروج للتفرج على تلك الحفلات المبهجة لروحهم الوطنية ، حيث تقف أمهات الشباب المجهزين للموت في الصف الأول ، فيما ينبغي على آبائهم أن يحملوا معهم ما يكفي من النقود لدفع ثمن الرصاص الذي سيمزق أجساد أبنائهم كعقوبة لهم لإساءة تربيتهم ...))[٣٣] ، ويصل الإمعان في الإذلال والتجبر إلى منع أهلهم من البكاء عليهم أو إقامة مجالس عزاء لهم [٣٤] ، وهي وقائع حقيقية عاشها العراقيون خلال الحرب العراقية الإيرانية.

وقد وظف الكاتب السخرية والكوميديا السوداء والعوالم الفنتازية في نسج هذه الرواية ليُعرِّي من خلالها واقع سياسي خانق تسود فيه إيديولوجيا السطوة والعنف ، فعلى الرغم من مأساوية الواقع والكوارث التي آلت إليها الأحداث ، فإنَّ الرواية قائمة على السخرية والتهكم من الواقع ، ولعل أبرز ذلك يظهر في تصوير شخصيات الجنرالات التي تجلت على نحو (كاركتيري) لاسيما في مشاهد استعراضهم أنفسهم من وراء الزجاج [٣٥] ، أو في خطاباتهم للشعب أمام الميكرفونات في مهرجان الفرح اليوتوبية[٣٦] .

أمَّا ملامح ومؤثرات الأجواء الفنتازية فهي أكثر من أن تحصر ولكن لا بأس من الإشارة لبعضها مثل حديث الرواية عن يوم تاريخي أمطرت فيه السماء ((ضفادع فامتلأت شوارع وبيوت وسطوح بغداد بها وأثارت دهشة علماء الأنواء الجوية))[٣٧] ، أو حكاية (إرحياء) الزائر الكوني الذي ((أقبل طائراً من الشرق مع طلوع الشمس على حصان بلوري ، ربما كان طبقاً طائراً ، فكَّهُ قطعة قطعة – حال وصوله إلى المقهى الوحيد الواقع في السوق ... وركبه ثانية فتحول إلى كرسي هزاز جلس عليه وراح يقرأ في كتاب أخرجه من عبه ...))[٣٨] .

ولعل حكاية الشيوخ الثلاثة الذين حكموا البلاد في الماضي ثم عادوا بعد مرور سنوات طويلة وفي غفلة من أهل المدينة وسيطروا على البلاد وحكموها من جديد وأذاقوا أهلها الويلات أجلى تلك المشاهد .

يمكننا القول إن مزج الكاتب بين الواقع والمتخيل في استرجاع وقائع وأحداث شكلت جزءاً من تاريخ العراق وحياة العراقيين في صيغة هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ما يتلاءم مع مأساة الواقع العراقي ولا واقعيته .

لقد سعى (العزاوي) بهذه الرواية إلى إدانة عقلية المؤسسة العسكرية وتكوينها التي أنتجت شخصية المستبد ، فهو لا يقتصر على شخصية صدام حسين فقط ، على الرغم من أنه كان أكثر تلك الشخصيات مساحة من حيث رصد أفعاله وتصوير عصره ، بل سعى إلى جمع شخصيات كل الانقلابيين الذين حكموا العراق ليكشف عن النسق الذي يشكل القاسم المشترك بينهم ، فعلى الرغم من اختلاف الأزمنة والشخصيات في صيغ تعبيرها عن نوازعها ، فإنها تشابهت في مضمون خطابها ، وفي انطلاقها من منظومة فكرية سلطوية واحدة قائمة على القمع والإرهاب .

٢– عنف المنفى وتشظي الهوية .

دفعت الأجواء الكابوسية التي عاشها الإنسان العراقي تحت وطأة سلطة قمعية لم يقف عند الحيلولة دون حياة طبيعية داخل الوطن بل امتدت تأثيراته إلى خسارة الوطن ذاته ، بعد أن اضطر كثيرمن الناس تحت ارغاماتها إلى اتخاذ المنافي أوطاناً بديلة في محاولة منهم للهرب من قتامة الواقع وسوداويته . هذا ما عالجته (دنى غالي) في روايتها (عندما تستيقظ الرائحة)[***] ، من خلال حيوات ثلاث شخصيات (مروى البصري ، ونهلة صباح ، ورضا المولاني) ، وهم أصدقاء وجيران جمعتهم علاقات إنسانية متشابكة حين كانوا في البصرة ، قبل أن يضيعوا في المنفى الدنماركي في كوبنهاكن ، ويفقدوا الأواصر التي جمعتهم .

وهناك نعيش جزئيات حياتهم ونتابع معاناتهم من خلال التقارير الطبية التي تعدّها المحللة النفسية الدنماركية المنتدبة من الحكومة المحلية لتقييم أوضاعهم ، وقدرتهم على الاندماج والتأقلم مع المجتمع الدنماركي .

ومن خلال تقنية الحوار التي اعتمدتها الكاتبة في صيغة حوارات نفسية بين الطبية الدنماركية وبين تلك الشخصيات – التي شاءت مشيئة الكاتبة أن تنتدب المحللة ذاتها لمعالجة كلٍّ من (مروى ورضا) بالتعاقب ودون معرفتها بذلك – نكتشف أنَّ (مروى) و(نهلة) كانتا صديقتين ، وأن (رضا) كان فارس أحلام كليهما ، إلّا أنَّ (نهلة) فازت به ، وتمكنا بعد مدة من الهرب خارج العراق .

تبدأ أحداث الرواية مع وصول (مروى) إلى الدنمارك ، فنتعرف من خلال حواراتها مع المحللة على مأساة حياتها ، التي كشفت عن عمق تأثير واقع الاستبداد والقمع السياسي في تشكيلها ، فـ (مروى) شخصية مسكونة بالخوف والهلع وهو ما جعلها تكرر كلمات (خوف ، رعب ، موت ، كابوس) ، مما أثار دهشة الطبيبة ودفعها إلى تشخيص حالتها بأنها نوع من ((اضطرابات ما بعد الصدمة النفسية PTSD))[٣٩] ، وهذه الاضطرابات التي وسمت شعباً بأكمله كما روت (نهلة) لصديقتها الدنماركية ، كانت حصيلة واقع مفعم بالألم ، فرضه نظام قمعي ((الكل هناك مسكون بالهلع))[٤٠] ، وصور الفواجع مطبوعة في ذاكرة جميع الناس بعد أن اعتادوا فقد الأحبة والأقرباء [٤١].

لقد تنوعت صور الفواجع التي تختزنها ذاكرة (مروى) ، ولعل إعدام شقيقها الرسام ومطالبتهم بدفع ثمن الرصاصات ، ومنعهم من إقامة مجلس عزاء له ، إمعاناً في إيذائهم وإذلالهم ، كان من أكثر الصور التي حفرت عميقاً في ذاتها – رغم صغر سنها في ذلك الوقت – لاسيما أن تلك الحادثة كانت السبب في موت والديها [٤٢].

ولم يتوقف ظلم النظام واستبداده عند إعدام الشقيق فقط ، بل امتد لينال من (مروى) نفسها ، إذ ظلت صور رجال الأمن وهم ينتزعونها من خلف أختها الكبيرة (نرجس) على الرغم من توسل الأخيرة وصراخها ((يمسك أحدهم برسغي ويسحبني من خلف نرجس ، يلوي يدي ويجرني معه ، نرجس تتلقى دفعة قاسية من الثاني تلقيها على باب البيت وتسقطها على الأرض))[٤٣] .

لقد كان لحدث اعتقالها هذا أثر كبير في التكوين النفسي للشخصية فرعب تلك المشاهد امتد إلى مساحة اللاوعي لديها ليتفجر بصورة مشاهد كابوسية يختلط فيها الماضي بالحاضر ، والحقيقة بالوهم ، ((الغرفة التي تركوني فيها لوحدي في مركز الأمن صغيرة جداً ، يخنقني الدخان الذي ينحشر داخلها ، مغلقة بقفل ، أسكت مرعوبة حين يحين وقت التحقيق معي ، يتحلقون حولي بين غمز وتهديد وتحرش بجسدي تخور قواي فأسقط))[٤٤] .

ومن الصور الكابوسية التي تختزنها ذاكرة (مروى) حملات التهجير التي تعرضت لها فئات من الشعب العراقي في أوائل السبعينات والثمانينات تلك الحملات التي غيرت معالم مدينة البصرة وأفقدتها وهجها الأول وحميمية العلاقات الإنسانية فيها ، بفقد القريب والجار والصديق ... فلم يَبقَ من البصرة ((غير رمل أغبر وخلطات اسمنت جاهزة لترقيع الثقوب والحفر))[٤٥] ، ولم ((يستجد في الشارع غير زي للجيش الشعبي وزي للمخابرات وزي للجنود))[٤٦] .

إن حجم الخراب الذي خَلَّفته سياسات النظام على البنية التحتية للبلاد وعلى الحالة النفسية للشعب ، دفعت الشخصية إلى الحلم بوطن خالٍ ((من حفر القذائف والفوضى والرعب))[٤٧] ، وراحت تجسد هذا الحلم من خلال اللوحات التي رسمتها له لتخفف من مراراتها التي تفاقمت بعد هجرتها إلى الدنمارك واصطدامها بنمط الحياة المستقرة هناك ، وطبيعة النظم السياسية التي تحترم الإنسان ولاسيما الدنماركي وتسعى إلى توفير حياة كريمة له حيث ((القوانين تحكم كل فاصلة كبيرة وصغيرة في المجتمع))[٤٨] ، على حين تضيع حياة المواطن العراقي في ((الاستدعاءات والتحقيقات ... والتهديدات))[٤٩].

وأمام سيل الذكريات الجارف الذي يفجره الحديث مع المحللة النفسية تعمد (مروى) إلى تغيير مكان سكناها وقطع صلتها بها في محاولة منها للهرب من ذاكرتها لكنها تعجز عن إيقاف تدفقها الأليم ، إذ بقيت حاضرة شاخصة أمامها حتى بعد أن سكنت في غرفة صغيرة مع شاب مقدوني ، فكانت تلك الذكريات زاد لياليها الباردة ، حيث تتزاحم صور النسوة اللاتي كن يقصدن

بيت أهلها وهن في طريقهن إلى سجن البصرة ، للبحث عن أبناء أو أخوة مسجونين هناك لأسباب سياسية أو دينية.[٥٠]

ولم يكن (رضا المولاني) الشيوعي خريج كلية الهندسة أحسن حالاً من (مروى) ، فهو الآخر يعاني من أعراض ما بعد الصدمة أثر الاضطهاد والقمع الذي تعرض له في العراق قبل أن يقرر الهرب واللجوء إلى الدنمارك ، نتعرف إلى ذلك من خلال ما أدلى به شهادات للمحللة النفسية ، ففي إحدى حواراته معها لخص سلسلة المعاناة الطويلة التي عاشتها ((ليس لديك أدنى فكرة عما مررت به من ظروف تسفير ، سجن ، ضرب ، إهانات))[٥١] ، وهو ما يدفعه إلى اليأس من الحياة ((مللت وضعي ... لا أشعر بقدرتي على المواصلة))[٥٢]، فسلسلة المعاناة تبدأ منذ الطفولة مع حملات التهجير ((يأتي الإنذار ليلاً بأن نغادر الأحداث المشؤومة لا تحدث إلّا ليلاً ونحن أطفال فيبدو كل شيء مرعباً ، نبلغ بأن انتماءنا مشكوك فيه بسبب من تبعيتنا الإيرانية . ولاءنا للوطن لا حق لنا فيه))[٥٣] .

وأمام منظومة القهر هذه التي سحقت إنسانية الإنسان وحوَّلته إلى ((وليمة مجانية للذئاب))[٥٤] في قوافل موت جماعي ، نضج وعي (رضا المولاني) مبكراً ليتبنى الفكر اليساري ، فأقبل يقرأ الكتب الحمراء بنهم ، إلّا أنَّ إكراهات الواقع كانت أقوى منه فـ((تحت موجة القتل والتشريد والسجن والتخريب والترهيب))[٥٥]، يتخلى عن انتمائه ، ويترك والدته ((تشعل النار بالكتب الحمر))[٥٦] ، كما يترك الرفاق متجنباً زيارتهم مخافة أن يُتَّهم باحتفاظه بفكره،[٥٧] فلا تبقى له إلّا غصة الأسئلة بعد أن تبدد كل شيء لكن ذلك لم يحل دون استمرار السلطة بملاحقته فيلقى به في أتعس الأمكنة ويتعرض لشتى العقوبات، وتكتب ضده عشرات التقارير، وينزل سجونا دون توضيح أو قرار[٥٨].

وفي تلك الأجواء كان الموت هو القدر الوحيد الذي يتربص بالجميع ولاسيما بعد نشوب الحرب مع ايران [٥٩] ، والتحاقه بها ((بعد تخرجه من كلية الهندسة التي كانت سنوات الدراسة فيها تأجيلاً لحتف ينتظر)) [٦٠] ، على الرغم من أنها تحولت من ((مخططٍ لكسر الإرث الاجتماعي كما يقول الشيوعيون))[٦١] ، إلى ((كسر للظهر ... ملاحقات ، سجن واختفاء)) [٦٢] ، وهناك يتهم مع اثنين من أصدقائه بالوقوف وراء انفجار لغم على مدربهم في المدرسة العسكرية أثناء درس الألغام[٦٣]، لا لسبب إلّا لأنهم ((من أهل البصرة كل واحد يفصل على هواه من يقول إننا منتمون إلى حزب الدعوة ،ومن يقول شيوعيون نخطط لانقلاب))[٦٤] كل ذلك ((دون وجود إثبات))[٦٥] يسجن على أثرها ويعذب ((بتهمة الخيانة))[٦٦] ، وبعد كل ذلك لا يكون أمام (المولاني) إلّا الرحيل فيختاره أخيرا بعد أن سدت أمامه أبواب الحياة ، ولأنه يعجز عن التأقلم

مع الحياة الجديدة يتخذ من الحبوب المنومة والخمر وسيلة للهرب من ذاكرة أثقلته بأوجاعها وحاضر يعجز عن التواصل معه .

أما شخصية (نهلة / هيلينا) فقد كانت أكثر قدرة ظاهرياً على تحمل أعباء قمع السلطة واضطهادها من (مروى) و (رضا) ، فهي لم تُصَب بأعراض ما بعد الصدمة مثلهما إلّا أنَّ الحقيقة عكس ذلك ، فأشكال التسلط والقمع السياسي تركت أثرها عليها ودفعتها إلى الجهة القَصِيَّة الأخرى ، من خلال تبنيها موقف الرفض الكامل للماضي والتمرد عليه ، بدءاً بتغيير اسمها إلى ((هيلينا سابا))[٦٧] ، وشكلها الخارجي[٦٨]، وتصرفاتها ، وعاداتها في الأكل [٦٩] وطريقتها في معاملة زوجها (رضا) التي تطورت لطلب الانفصال عنه[٧٠] ، وهي في كل ذلك تعلن تمردها على الماضي ساعية إلى الاندماج بالحياة والمجتمع الجديد .

وإذا كانت الرواية قد فضحت عبر اعترافات أبطالها آليات القمع وأساليب الاستبداد التي مارستها السلطة الحاكمة تجاه رعاياها ، فإنها عبرت ومن خلال شخصياتها أيضا عن إدانتها لكل الإيديولوجيات والطروحات الفكرية الثورية التي تخلت عن أبنائها ، وتركتهم يتجرعون مرارة الخيبة ، وهذا ما نتلمسه في مواقف (رضا المولاني) فخيبة الأمل التي عاشها جراء ذلك كانت بكبر الآمال التي عقدها عليها التي تبددت تحت وطأة سلطة جائرة ، لم تبقَ له غير مرارات متلاحقة بدأت بحملات تهجير واعتقال وحروب أتت على الأخضر واليابس وانتهت بمنافي باردة تفككت فيها الأسرة وانفرط عقدها ، فلم يبق ل(رضا) إلّا مرارة الأسئلة ((أين هم الرفاق ، وكل ما هتفوا به ونادوا ؟ تبدد كل شيء ، ولا علينا إلّا الخرس والتخفي لنحفظ أرواحنا ، وكأننا نخسر الرهان بلمح البصر ... كل شيء مرة واحدة ، الحلم ، الزهو ...))[٧١] ، ويصل الألم واليأس مداه عندما يتساءل (رضا) في نقاش مع مجموعة من المنفيين العراقيين في الدنمارك عما فعلته الإيديولوجية لأبنائها ((المرميين مثل الكلاب في أصقاع العالم ، لعوائلهم اليتيمة هناك ، المهانة المستباحة ؟))[٧٢] .

وقد تعاظم هذا الإحساس لديه بعد هروبه إلى المنفى ، ونظرة المجتمع الغربي لهم على أنهم ((مجموعة خائبة لا تفقه من الشيوعية شيئاً متمسكة بقشورها الحالمة))[٧٣] ، وهو ما تردده (نينا) الدنماركية على مسامع (نهلة) مشككة بالانتماء الحقيقي إلى (رضا) ولأغلب من تلتقي من العراقيين ، إذ ترى أنَّهم فرحون ((بمبدأ لم يتعمقوا فيه))[٧٤] ، فالتجربة الواقعية في المانيا الشرقية وهنغاريا اثبت أنَّ الأنظمة الشيوعية أنظمة دكتاتورية فرضت مبادئها بدكتاتورية على شعوبها.[٧٥]

هذا الموقف الانتقادي الصريح من الإيديولوجية التي بثته الكاتبة في نصها عبر حوارات شخصياتها ومواقفهم المختلفة يكشف عن رؤية جديدة كان للحياة في المنفى دور فاعل في تبلورها إذ وفر إمكانية الاطلاع على الأفكار وتطبيقاتها في منبعها الأصلي .

ومما تسجله الباحثة أنَّ هذا الموقف الانتقادي الصريح من الإيديولوجيات وجدته واضحاً في كثير من الأعمال الروائية التي كُتِبَت في المنفى.(****)

تشظي الهوية وتفكك لحمة المجتمع الواحد من أبرز سمات المجتمعات التي تقبع تحت نير السلطات القمعية ؛ فالاضطهاد والقمع المنظم ضد فئة أو فئات من المجتمع بسبب من الدين أو المذهب أو القومية من أكثر دواعي تفكك المجتمعات وضياع هوياتها ، وهذا ماحصل في العراق إبان حكم السلطة البعثية ؛ إذ تعرضت فئات واسعة من المجتمع العراقي للاضطهاد جراء ذلك ، وقد رصدت الرواية العراقية في المنفى صوراً من ذلك العنف الذي أدى إلى خلخلة بنية المجتمع وتشظي هويته . ومن هذه النقطة بالذات جاءت رواية (ملائكة الجنوب) ل(نجم والي) (*****) بوصفها محاولة للامساك بالوعي الطفولي للعالم وبدايات التعرف عليه من خلال استذكارات الراوي المنفي (هارون والي) ، الذي عاد إلى مدينته عماريا في جنوب البلاد بعد أشهر من سقوط النظام ودخول القوات الأمريكية إليه عام ٢٠٠٣ ، إثر غيبة ناهزت ثلاثة عقود ، فيرصد من خلال ما يروي من فيض الذاكرة التحولات التي طرأت على المكان / عماريا وصيرته خراباً ، لم يبقَ من ملامحه الأولى سوى عبارة (ملائكة الجنوب) خطها باللون الأزرق (٧٦)– قبل ما يقربُ من نصف قرن – على باب المقبرة الانكليزية التي عمل فيها جده بستانياً.(٧٧) وبإزاء هذا الواقع الشائه يُشرع (هارون) بكتابة رواية عن المدينة يسجل فيها حكايات أهلها وما آلت إليه مصائرهم ، حكايات تعددت وتنوعت إلّا أنَّ فضاء الظلم والاضطهاد ظل يجمعها ، لتشكل بنسيجها الملون والمتجانس في الوقت نفسه حكاية (عماريا) المدينة الوادعة في جنوب العراق التي اندثرت ونشأ ((على انقاضها مدينة أخرى لم تأخذ من القديمة إلّا بعضاً من حروفها الأبجدية))(٨٧) .

فقد حملت حملات التهجير و(الفرهود) التي تعرض لها اليهود في عموم البلاد عام (١٩٤١) معها الملامح الأولى لخراب المدينة ، حيث أُزيلت محلة التوراة التي كانت تقطنها غالبية العوائل اليهودية فيها (٧٩) ، ولم يبقَ منها إلّا عائلة الدكتور (داود كبّاي) والد (ملائكة) الذي ((لم يترك ... مناسبة جمعته بأصدقائه ... إلّا وأعلن أنه ... لن يغادر المدينة ولا البلاد إلا جثة هامدة))(٨٠) .

وعلى الرغم من أنَّ إحساسه بالانتماء إلى الوطن والإنسانية كان يفوق أي انتماء آخر ، إذ كَثيراً ما ردد ((أنا لستُ إنساناً يهودياً ، أنا إنسان ويهودي))[٨١] ، ومن المنطلق الفكري ذاته كانت زوجته الدكتورة (نوال حنا) تصر على القول ((لست طبيبة مسيحية بل أنا طبيبة شيوعية))[٨٢] ، فإنَّ ذلك لم يحل دون أن يتعرضا للاعتقال والتعذيب وأن ينتهيا إلى مصائر مجهولة ، فالدكتور (كبّاي) قُتل بطريقة بشعة ولم يعرف مصير جثمانه[٨٣]، أما الدكتورة (نوال) فقد انتهت إلى السجن في زنزانة منفردة في سجن النساء حتى بعد أن انفصلت عنه ظناً منها أنَّها الوسيلة الوحيدة للخلاص [٨٤].

ولم يبقَ أمام ابنتهما (ملائكة) سوى الاختفاء والتنكر ظنّاً منها ((أنَّ من يريد أن يعيش بسلام في هذه البلاد عليه التنكر حتى في حواسه))[٨٥] ، لكن الأحداث كشفت بطلان ذلك الاعتقاد ، فالتنكر والاختفاء لا يجديان نفعاً مع سلطة قمعية تمتهن القتل والإذلال ، فعزلتها عن الحياة العامة وتنكرها لم يحل دون أن تكون هدفاً دائماً للسلطة ممثلة ب (فوزي عدنان) الذي كانت عائلته وراء كل المصائب التي حلت بمدينة عماريا وأهلها [٨٦].

ولم يتوقف القمع عند حدود عائلة (ملائكة) ليهوديتها بل امتد ليشمل (نعيم عباس) وعائلته التي ساقتهم مظالم السلطة واضطهادها إلى أقدار مظلمة ، (نعيم عباس) ((أصغر شاعر عرفته المدينة))[٨٧] ؛ كان نتيجة لزواج (عباس) المسلم من (فتنة) الصابئية [٨٨]، جمعته مع (ملائكة) و(نور) صداقة متينة تعود إلى أيام الطفولة [٨٩] .

تبدأ مأساة (نعيم) وهو في سن الخامسة عشر عندما ((اعتقلوا أباه بتهمة التجسس ، ولم يعرف أحد مصيره))[٩٠] ، في إحدى الحملات التي قاد فيها (جبار سوادي) – مسؤول سجن الخيَّالة– العشائر للهجوم على اليهود وسلب ممتلكاتهم رداً على العدوان الثلاثي على مصر[٩١].

وفي أثناء الهجوم أُصيب (نعيم) بجروح بالغة فقد على أثرها الوعي لثلاثة أيام [٩٢] ، ليصحو على كابوس مقتل والده ورحيله دون إرادته إلى إسرائيل مع من نجا من الهجوم[٩٣].

عاش (نعيم) في إسرائيل مدة عشر سنوات قبل أن يتمكن من الرجوع إلى العراق بجواز سفر مزَّور [٩٤] ، لكنه اضطر إلى الرحيل مرة أُخرى بعد أن أوشك الرائد (جبار سوادي) أن يقبض عليه عقب إعدام الدكتور (كبّاي) ، ليعود بعدها إلى منفى ابدي لم يعد منه إلّا عجوزاً أعمى بعد سقوط النظام في عام ٢٠٠٣[٩٥] .

أما (نور) أو (الملاك) الشاب الصابئي فكان له هو الآخر نصيبه من ظلم السلطة واضطهادها ، فقد اعتقل في قبو منع من مغادرته ((قرابة عشر سنوات ... ينقش ويرسم طوال

اليوم تقريباً ومعه نقاشون سبعة ، لا يسمح لهم بالنوم أكثر من أربع ساعات))[٩٦] ، تلبيةً لرغبة الرئيس الذي طلب ((أن يحيطوا هذا النقاش بعنايتهم ويوفروا له الراحة لكي يظل ينقش بهدوء ... لأنه ... ثروة وطنية يجب المحافظة عليها من الأعداء))[٩٧] ، بعد أن دهش بإحدى القطع الذهبية التي نقشها الملاك[٩٨] ، فكان الحبس في قبو تحت مبنى وزارة الدفاع ، هي الطريقة المثلى التي تراها السلطة للمحافظة على هذه الثروة الوطنية ((على الطريقة الثورية)) [٩٩] .

وفي ظل هذه الأجواء كان على (نور) أن يعمل ويبتكر الجديد لإنقاذ نفسه ومن معه ، فأي إخفاق سيعرضهم إلى الضرب والإهانة وأبشع أساليب التعذيب الجسدي والنفسي ، إذ كانوا يمسكونهم من لحاهم التي طالت ويبصقون بها واحدة بعد أُخرى هازئين ((لحية الصُّبِّي مكناسة))[١٠٠] .

وبعد سلسلة من التعذيب الجسدي والنفسي [١٠١] أقدموا على جزّ ((أطراف أصابع يده بسكاكين جلبوها خصيصاً ... ليلقوا به جسداً مدمى ... في سجن مديرية الاستخبارات))[١٠٢] ، ما يقارب خمسة عشر عاما إلى أن جاءت المعجزة التي أنقذته بصورة ((ضابط أجنبي طويل القامة ... ضخم الجثة ... ازرق العينين ، حمل بيده قائمة أسماء من ضمنها اسمه نادى الضابط عليه بصوت عال ... أنت طليق))[١٠٣] .

لقد شكل هذا الثلاثي (ملائكة ، نعيم ، نور) رمزاً لزمن جميل ، حيث التعايش السلمي بين أطياف الشعب العراقي من كل الملل والنحل والأديان ((الصابئة ، اليهود ، المسلمون بسنتهم وشيعتهم ، المسيحيون من كلدان وأشوريين وأرمن وتلكيفيين كان هناك عرب واكراد وتركمان وفيلية))[١٠٤] ، إلَّا أنَّ هذا البناء المتنوع اختل وتصدع بعد أن انهارت دعائمه واحدة تلو الأُخرى إثر حملات الاعتقال والقتل والتهجير التي شهدتها المدينة / عماريا ، والبلاد عامة تحت حُجج واهية .

والرواية إذ تدين السلطات القمعية وتحمّلها مسؤولية ما حصل من دمار وتخريب طال بنية المجتمع ونسيجه الديموغرافي ، فإنها تفضح الفئة الانتهازية التي تبنَّت مواقف وإيديولوجيات تعبر عن ارتباطها وانتمائها إلى الواقع السياسي القائم مهما كان نوعه ، تدفعها قناعات وأفكار عدوانية تجاه المجتمع الذي لم تستطع الاندماج معه ، فاختارت بوعي منها أن تكون أدوات قمعية تعمل على ترسيخ النزعات السلطوية للمؤسسة السياسية .

ولعل في عائلة (آل طاعون) خير ممثل لتلك الفئة فالرائد (جبار سوادي) كان مسانداً لكل الأنظمة السياسية في العراق وأبقى على الصلة ذاتها مع مختلف صورها ف((ذلك ديدن العائلة ، عندما يكونون بحاجة إلى أحد لا يترددون في تدليله))[١٠٥].

فقد كانت لهذه العائلة علاقات مع الإنجليز إبّان الدولة الملكية فجدهم الرائـــد (جبار سوادي) كان مسؤول سجن الخيالة ، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع الاحتفاظ بوظيفته وعلاقاته مع كل الحكومات التي تعاقبت على حكم البلاد ، فشخصيته الانتهازية مَكنته من تغيير مواقفه بحسب ما تقتضيه مصالحه فـ ((كل الحكومات هي رائد ... جبار سوادي))[١٠٦] ، واستمر هذا الأمر مع ابنه (عدنان) وحفيده (فوزي) .

وبعد سقوط النظام في عام ٢٠٠٣ واحتلال البلاد ((لم يكن يتصور أنه سيفقد سلطته يوماً ، لكنه بحكم الخبرة التي تمتع بها مع كل السلطات التي مرت ، كان يعرف أنَّها مسألة وقت وسيلمع نجمه من جديد ... قد تأتي حكومات وتنهد ممالك ، لكنه لن يسمح يوماً لأحد أن يطفئ نجمه))[١٠٧] ، وهذا ما تحقق بالفعل ، فبعد أن كان (جبار سوادي) هارباً خوفاً من بطش الأهالي وانتقامهم لأنه ((يعرف عدد الذين أضيروا بسببه طوال كل هذه السنوات))[١٠٨] تمكن من كسب ود الحاكم المدني الانجليزي للمدينة بعد أن وشى ببعض أهلها[١٠٩] ، فأقدم على تعيينه ((الرئيس الفخري للشرطة المحلية ... بل نجح في إقناع الحاكم ... بجلب حفيده فوزي ورفيقه ليث ... ومجاشع وكاد أن يجلب ابنه عدنان أيضاً ، لو لم يعثر هذا ... على وظيفة حكومية كبيرة في بغداد)) [١١٠] ، وهكذا عادت وجوه السلطة القديمة من جديد للعمل في المدينة فشكلوا ما ((أطلق عليها الناس الوحدة القذرة ، الوحدة التي خضعت لسلطات الانكليز مباشرة ... ومنذ ذلك الحين يعيش الثلاثة في حرية يطوفون على البيوت ويغتالون من يريدون)) [١١١].

لقد حرصت هذه الشخصيات على البقاء وفيه للإيديولوجيات – التلاؤمية والانتماء إلى السلطة ، خدمة لمصالحها الشخصية ورغباتها الفردية ، فكانت الكيفية التلاؤمية الانتهازية وسيلتها لتحقق تلك المكاسب بما أفرغها من كل مستوى أنساني وتركها رهينة انتمائها إلى السلطة ((بوصفها مطلباً حتماً ومعياراً فكرياً تتحدد في ضوء كينونتها الذاتية وأبعاد وجودها)) [١١٢] ، فرجل مثل (سوادي طاعون) ((لا يفكر في حياة أُخرى غير حياة الشرطي ، سوادي طاعون هو الشرطي الأبدي ... الذي أصبح قدر الناس))[١١٣] فمثل هذه الشخصية تستمد استمرارية من الاندماج ضمن بنية السلطة ، وأنَّ أيّ خروج عنها يُعّد نهاية ونسفاً لذلك الوجود ولهذا تخلت تلك الشخصيات عن أيّ انتماء آخر سوى الانتماء إلى

السلطة(******) ، مستثمرة كل وسائل الاحتيال وتزييف الحقائق للبقاء على ذلك الانتماء إلى المنظومة السلطوية .

لقد انتهت الرواية بخاتمة دائرية مغلقة ، تشي بتوالد المحن وتناسلها ، وتكرار المآسي وديمومتها في ظل واقع سياسي متردّ ، فالمحن التي مرت بها الشخصيات لن تنتهي ، بل إن تردي الواقع السياسي كفيل بإنتاج ما هو على شاكلتها وأكثر .

الخاتمة

١- سعت الرواية العراقية في المنفى عبر نماذجها المدروسة إلى فضح منظومة السلطة الديكتاتورية القائمة على القمع والتنكيل بالإنسان ، من خلال إدانة الممارسات العدوانية التي تقوم بها الأجهزة الأمنية المرتبطة بها بحق الشعب بعد أن فقد أفرادها كل وازع إنساني أو أخلاقي أو مهني ، فأصبحت آلة لهرس الإنسان واستباحة كرامته في ظل سلطة منحرفة .

٢- كانت غربة المدنية بوصفها نتيجة حتمية للسياسات التي انتهجتها السلطة القمعية لعسكرة المجتمع إحدى أبرز الإشكالات التي طرحتها الرواية العراقية في المنفى ، ورصدت انعكاساتها السلبية في بنية الفرد والمجتمع .

٣- في الوقت الذي أدانت فيه الروايات عبر اعترافات أبطالها آليات القمع وأساليب الاستبداد التي مارستها السلطة الحاكمة تجاه رعاياها ، فإنها عبرت ومن خلال شخصياتها أيضا عن إدانتها لكل الإيديولوجيات والطروحات الفكرية الثورية التي تخلت عن أبنائها ، وتركتهم يتجرعون مرارة الخيبة .

هوامش البحث

(١) ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، د. حسنين توفيق إبراهيم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ : ٤٨ .

(٢) ينظر : سيكولوجيا السلطة سالم القمودي ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠ : ٤٠ ، السلطة والرمز ، بيير بورديو ، ت. عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال ، ط٣ ، ٢٠٠٧: ٥٠ –٥١ .

(٣) ينظر : الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥– ١٩٧٥ ، حمدي حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ : ١٧١ والرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية ، د. الشريف حبيلة ، عالم الكتب الحديثة ، إربد – الاردن ، ط١ ، ٢٠١٠ : ١٦٥ – ١٩٨ .

(*) الغلامة ، عالية ممدوح ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

(٤) ينظر : المرجع نفسه : ١١٠–١١٤ .

(٥) مصير(بدر) الشاب الماركسي الذي جمعته مع (صبيحة) علاقة عاطفية إذ غيب في المعتقلات وأنقطعت أخباره ، ينظر : المرجع نفسه : ٥٣ و ١٩١ ١٩٣ .

(٦) مصير (د. أنيسة) إحدى مناضلات الحزب الشيوعي التي قضت حياتها تحت التعذيب في الملعب الاولمبي ، ينظر : المرجع نفسه : ٢٣ ، ١٤٠ .

(٧) مصير (عادل) شقيق (هدى) صديقة (صبيحة) الذي إضطر إلى مغادرة البلاد الى كندا ، ينظر : المرجع نفسه : ١٤٠ .

(٨) ينظر : المرجع نفسه :٢٣٢ .

(٩) ينظر : المرجع نفسه: ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، ١٢٥ .

(١٠) ينظر :المرجع نفسه : ١٢٥ ، ١٣٩ .

(١١) ينظر :المرجع نفسه : ١٥٥ .

(١٢) المرجع نفسه : ٢٦ .

(١٣) ينظر : المرجع نفسه : ٣١ ، ٢١ .

(١٤) ينظر : المرجع نفسه : ٢٤ .

(١٥) ينظر : المرجع نفسه : ١٩ .

(١٦) ينظر : المرجع نفسه : ١١ .

(١٧) المرجع نفسه : ٥٤ –٥٥ .

(١٨) ينظر : المرجع نفسه: ٢١١ – ٢١٢ .

(١٩) ينظر : المرجع نفسه : ٢٩ .

(٢٠) ينظر : المرجع نفسه : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢١) ينظر : الغلامة : ٦٣ .

(٢٢) المرجع نفسه : ٦٥ .

(٢٣) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٢٤) المرجع نفسه ٤٤ .

(٢٥) ينظر : المرجع نفسه: ٣٧ ، ١٨٥ – ١٨٦ .

(٢٦) ينظر : المرجع نفسه: ٤٦ – ٤٧ .

(٢٧) المرجع نفسه: ٤٦ .

(**) الاسلاف ، فاضل العزاوي ، منشورات الجمل ، ط١ ، ٢٠٠١ .

(٢٨) ينظر : المرجع نفسه: ٣٢٠ .

(٢٩) ينظر : المرجع نفسه : ١٠ .

(٣٠) ينظر : المرجع نفسه : ٩ .

(٣١) المرجع نفسه: ١٨٢ ، وينظر : ١٨٠ – ١٨١ .

(٣٢) ينظر : المرجع نفسه : ٣٠٣ – ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(٣٣) المرجع نفسه : ١٥٩ .

(٣٤) ينظر : المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٣٥) المرجع نفسه : ٢٦٠ – ٢٦١ .

(٣٦) ينظر : المرجع نفسه : ٢٦١ .

(٣٧) ينظر : المرجع نفسه : ١٩٨ – ١٩٩ .

(٣٨) ينظر :المرجع نفسه : ١٦٤ – ١٦٥ – ١٦٦ .

(٣٩) المرجع نفسه: ٦٧ .

(***) عندما تستيقظ الرائحة ، دنى غالي ، المدى ، ط١ ، ٢٠٠٦ .

(٤٠) المرجع نفسه: ٣٣ .

(٤١) المرجع نفسه : ٢٨ .

(٤٢) ينظر : المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٤٣) ينظر : المرجع نفسه : ٩٢ ، ١٥٨ .

(٤٤) المرجع نفسه : ١٧٣ .

(٤٥) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٤٦) المرجع نفسه : ٤٩ .

(٤٧) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٤٨) المرجع نفسه : ٨٩ .

(٤٩) المرجع نفسه : ٦٠ .

(٥٠) المرجع نفسه : ٢٠٤ .

(٥١) ينظر : المرجع نفسه : ١٥٦ – ١٥٧ .

(٥٢) المرجع نفسه : ٤٢ .

(٥٣) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٥٤) المرجع نفسه : ٧٦ ، وينظر : ٨١ .

(٥٥) المرجع نفسه : ٨١ .

(٥٦) المرجع نفسه والصحيفة نفسها.

(٥٧) المرجع نفسه : ٧٤ .

(٥٨) ينظر: المرجع نفسه : ٧١ ، ٨١ .

(٥٩) ينظر : المرجع نفسه : ٧٣ .

(٦٠) ينظر: المرجع نفسه : ٨٠ – ٨١ .

(٦١) المرجع نفسه : ٩٣ .

(٦٢) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٦٣) المرجع نفسه والصحيفة نفسها.

(٦٤) ينظر: المرجع نفسه : ٩٢ – ٩٣ – ٩٤ – ٩٥ .

(٦٥) المرجع نفسه: ٩٤ .

(٦٦) المرجع نفسه والصحيفة .

(٦٧) المرجع نفسه : ١٣٨ .

(٦٨) المرجع نفسة : ١٠٠ .

(٦٩) ينظر : المرجع نفسه : ١٣٧ .

(٧٠) ينظر :المرجع نفسه : ١٠٢ – ١٠٣ ، ١٣٦ .

(٧١) ينظر : المرجع نفسه :

(٧٢) المرجع نفسه : ٨١ .

(٧٣) المرجع نفسه : ١٩٥ .

(٧٤) المرجع نفسه : ١١٩ .

(٧٥) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٧٦) ينظر :المرجع نفسه : ١٢٢ .

(****) نجد هذا الموقف الانتقادي الصريح من الايديولوجيات في معظم روايات (عالية ممدوح) (الولع ، دار الاداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥) و(المحبوبات ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣) و (التشهي ، دار الاداب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧) ، وايضاً لدى (علي عبد العال) في روايته (مقتل علي بن مظاهر ومتاهته ، دار المنفى ، السويد ، ط١ ، ١٩٩٦) و (سلام ابراهيم) في (الارسي ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨) و (الحياة لحظة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩) و (انعام كجه جي) في (سواقي القلوب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥) .

(*****) ملائكة الجنوب ، نجم والي ، مؤسسة المدى للطباعة والنشر، بغداد، ط١ ، ٢٠١٠ .

(٧٧) ينظر : ملائكة الجنوب : ٩ .

(٧٨) ينظر : المرجع نفسه :

(٨٩) المرجع نفسه: ٢٤ .

(٨٠) ينظر : نفسه : ٣١ .

(٨١) المرجع نفسه : ٣٢ .

(٨٢) المرجع نفسه : ٩٤ .

(٨٣) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(٨٤) ينظر : المرجع نفسه : ٥١٣ – ٥١٤ .

(٨٥) ينظر : المرجع نفسه : ٣٧٠ .

(٨٦) المرجع نفسه : ٣٧١ .

(٨٧) ينظر : المرجع نفسه: ٧٨ .

(٨٨) المرجع نفسه : ١٦ ، وينظر : ١٧٤ .

(٨٩) ينظر : المرجع نفسه : ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٩٠) ينظر : المرجع نفسه : ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٩١) المرجع نفسه ٧٩ .

(٩٢) ينظر : المرجع نفسه : ٣٢٧ ، ٣٥٣ .

(٩٣) ينظر : المرجع نفسه : ٣٦٣ – ٣٦٤ – ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٩٤) ينظر : المرجع نفسه : ٣٧٩ – ٣٨٠ – ٣٨١ ، ٤٠٣ – ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(٩٥) ينظر : المرجع نفسه : ٤٠٦ – ٤٠٧ – ٤٠٨ – ٤٠٩ – ٤١٠ – ٤١١ – ٤١٢ – ٤١٣ – ٤١٥ – ٤١٦ .

(٩٦) ينظر : المرجع نفسه : ١٤٧ .

(٩٧) ملائكة الجنوب : ٦١٨ .

(٩٨) المرجع نفسه : ٦٢٠ .

(٩٩) ينظر : المرجع نفسه والصحيفة نفسها.

(١٠٠) المرجع نفسه والصحيفة .

(١٠١) المرجع نفسه : ٦٢٢ .

(١٠٢) ينظر : المرجع نفسه : ٦٤٣ – ٦٤٤ – ٦٤٥ .

(١٠٣) المرجع نفسه : ٦٤٥ – ٦٤٦ .

(١٠٤) المرجع نفسه : ١٣٧ .

(١٠٥) المرجع نفسه: ٦٠٥ .

(١٠٦) المرجع نفسه : ٣٩٤ .

(١٠٧) المرجع نفسه : ٦٦٠ ، وينظر : ٦٦١ .

(١٠٨) المرجع نفسه : ٦٦٢ .

(١٠٩) ينظر : المرجع نفسه : ٦٦٢ – ٦٦٣ – ٦٦٤ .

(١١٠) المرجع نفسه: ٦٦٥ .

(١١١) المرجع نفسه والصحيفة نفسها .

(١١٢) السلطة في الرواية العراقية ، أحمد رشيد الددة ، إطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها ، ٢٠١٠ : ١١٤

(١١٣) ملائكة الجنوب : ٦٦ .

(******) يمكننا الاستشهاد على ذلك بمواقف (ليث) الصابئي شقيق (نور) الاصغر من عائلته فقد كانت اول ضحاياه إذ تعرضوا للقتل والسجن والتنكيل على يديه كما حدث لعمه (سمر) واخيه (نور) وابنائه ، ينظر الرواية : ٦٩ – ٧٠ ، ٦١٦ – ٦١٧ – ٦١٨ – ٦١٩ – ٦٢٠ – ٦٢١ ، ٦٣٠ – ٦٣١ – ٦٣٢ ، ٦٦٣ .

المصادر والمراجع

(١) الأسلاف ، فاضل العزاوي ، منشورات الجمل ، ط١ ، ٢٠٠١.

(٢) الأرسي ، سلام ابراهيم ، الدار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

(٣) التشهي ، عالية ممدوح ، دار الاداب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

(٤) الحياة لحظة ، سلام ابراهيم ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩ .

(٥) الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥– ١٩٧٥ ، حمدي حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ .

(٦) الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية ، د. الشريف حبيلة ، عالم الكتب الحديثة ، إربد – الاردن ، ط١ ، ٢٠١٠ .

(٧) السلطة في الرواية العراقية ، أحمد رشيد الددة ، إطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها ، ٢٠١٠ .

(٨) السلطة والرمز ، بيير بورديو ، ت. عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال ، ط٣ ، ٢٠٠٧ .

(٩) سواقي القلوب ، انعام كجه جي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ .

(١٠) سيكولوجيا السلطة سالم القمودي ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

(١١) ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، د. حسنين توفيق إبراهيم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ .

(١٢) عندما تستيقظ الرائحة ، دنى غالي ، المدى ، ط١ ، ٢٠٠٦ .

(١٣) الغلامة ، عالية ممدوح ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

(١٤) المحبوبات ، عالية ممدوح ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

(١٥) مقتل علي بن مظاهر ومتاهته ، علي عبد العال ، دار المنفى ، السويد ، ط١ ، ١٩٩٦ .

(١٦) ملائكة الجنوب ، نجم والي ، مؤسسة المدى للطباعة والنشر، بغداد، ط١ ، ٢٠١٠ .

(١٧) الولع ، دار الاداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ .